

تكوثر الذات و ديار جبران

التواضع ثوب إلهي

مار إسحاق النينوي (٦١٣-٧٠٠)

بناءً على دعوة ملحة، قررنا زيارة لبنان مع صديقي حبيب دوغان، بين ٩-16 أيلول ٢٠١٩، منذ فترة طويلة وددت التعرف على الأخوة السريان المارونيين عن كثب، وقد تحقق لي المراد، ألتقيت بهم وتعرفت عليهم اقتربت منهم وصافحت أرواحهم ولامست شغاف قلوبهم مازلنا بخير. بمناسبة هذه الزيارة، معاً ذهبنا في نزهة في أروقة التاريخ وعبقه، حيث أكملنا الرحلة بأسلوب ثقافي شيق، حيث الانزلاق بين جنبات التاريخ صعوداً وهبوطاً لقد استحوذ علي هذا الأسلوب إلى درجة التماهي مع الزمن وكأن كل شيء في التاريخ قد تجمد في تلك اللحظات وتم تركه لنراه.

بقدرما أرى، تم تحقيق الكثير في الكنيسة السريانية المارونية، إلى جانب الذكاء الروحي والانضباط الداخلي والاجتهاد والنزاهة الشخصية في هذه الأرض، حيث بلغت الأنشطة الروحية والفكرية، التي ساهم فيها المجتمع المدني أيضاً ذروتها، لاحظنا وعاشنا روحاً حقيقية تثير أسباب الحب غير المشروط، خاصة في الأديرة.

بالطبع، بالتوازي مع هذا، بينما كنت أفكر في صحة القول المأثور الذي تعلمته منذ سنوات عديدة، "الجميع، من أجل الجميع". تذكرت الكلمات "إذا لم تتمكن من الإدارة، فستتم إدارتك" مرة أخرى هنا.

على الرغم من كل التسهيلات التي تقدمها الابتكارات التكنولوجية، فإن الأساليب التقليدية تتداعى، والقيم الإنسانية تتدهور تدريجياً وتتدرج إلى قبضة الفقر الروحي كل يوم. لذلك، هناك حاجة كبيرة للجسور والمناهج التي لا تكتفي بالجدران فقط. لذا علينا بناء جسور بدلاً من الجدران في جميع المناطق.

لأن الجسور ترمز إلى التدفق الإيجابي لطاقة الحياة المتدفقة في الدورة الطبيعية للحياة. من ناحية أخرى، تعني الحياة جعل الخير والتنمية مهيمنين على طاقة الحياة. الشر هو نقص الطاقة (الحب). إنه غياب الخير. الجدران الداخلية والخارجية تمنع طاقة الحياة وتمنع الخير والتطور.

التدفق الطبيعي في الحياة الاجتماعية تمامًا مثل النهر يعني أن تكون في تدفق إيجابي، من أجل الفوز. لتحقيق قانون الحب. لأن الإنسانية ليست في الأماكن الباردة والمظلمة، ولكن في ضوء الطرق (الجسور) التي تمر عبر الإنسان. هي في رحابة (الجسور). إنها في تنظيف الطرق (الجسور)

أثناء تجولنا في الكنيسة السريانية المارونية اللبنانية ، شعرنا أننا ذهبنا في رحلة إلى قمم الروح بدلاً من التجول في قمم الجبال. لقد رأينا ممارسات ومعاني تؤكد كلمات "الإخلاص يجعل كل أفعالنا مشرفة وجميلة" للكاتب السرياني الماروني خليل جبران (١٨٨٣-١٩٣١)، الذي له أعماله وأفكاره (على المحور الشرقي - الغربي) وهي ذات تأثير كبير على العالم. لقد شهدنا مدى أهمية تكوثر الجوهر والحريّة الداخلية، والسلام الداخلي. لأن هذه الكنيسة تعرض قصة نجاح في حد ذاتها في ظل الاضطراب السياسي لمجتمع ثقافي متعدد. الديناميكيات والمبررات الأساسية التي تكمن في عمق قصة النجاح هذه مثالية وتحتاج إلى فهم جيد.

بقدر ما أستطيع أن ألاحظ، في الكنيسة السريانية المارونية مع بنيتها التحتية المؤسسية ، تحول الحب إلى حكمة في الحياة ، وأصبح الانضباط نظاماً أصلياً. بما أن الروح الإيجابية عُرسّت باستمرار في فرح الحياة بالمعنى المسيحي، فقد تطور ثراء الجوهر بشكل متوازن. تم كسر قوة اللامبالاة، تم تقويض تأثير اللامبالاة تقريباً. لقد تحول الظل اللذيذ من عدم القابلية للاختراق إلى مسؤولية وأخلاق. على الرغم من وجود ظروف استثنائية، لا يتم تجاهل الحياة على العكس من ذلك، بل يتم النظر إلى هذه المناحي بمسافات متساوية. هناك تماهي بين القلب ووجه الناس وبالتالي تناسق الروح، إن لم يكن بنفس المعدل، تشمل الجميع، فإن معاني هذه الروح تضع الشخصية على مسار التحول. الخدمات المقدمة بصدق وجدية التطور الروحي، ممزوجة بوعي المسيح، تنتشر في جميع مجالات الحياة. الكنيسة بمظاهرها حيوية وديناميكية بكل أبعادها. [١] وهي نشطة ليس فقط في الضروريات الروحية ولكن في جميع الخدمات الاجتماعية. تتكامل الإنتاجية مع الحشمة والقدرة على التكيف في جميع المجالات الاجتماعية والثقافية التعليمية التي تخدمها. الخفايا الفنية تستمر بتخمير القيم العاطفية الأخرى. لذلك، لقد تم التعرف على ذواتنا في الأنشطة التي تم تغذيتها بمواضيع ملموسة جعلنا نتحصل على أيام ذات مغزى أثناء الزيارة، عندما ندرك حكمة الحياة، التي تدعونا إلى التطلع إلى المستقبل بأمل، إلى جانب تنامي وإنتاجية الجوهر البشري، يتكشف الجمال. كانت اللباقة والأبهة في ظل التطور الروحي والاجتماعي والضيافة الدافئة للكهنة السريانيين المارونيين الذين رافقونا، مدعاة للمسرة. حسن الضيافة التي أزدان بها الكهنة المارونيين جعلني أدرك كنه المصطلح السرياني "شومليو" وتجربة هذه المعاني شخصياً، فرحة إضافية لي في الواقع، لقد عبرت عن هذا الفرح لمرشدي الماروني معنا بعبارة "لقد اكتشفتم السر."

النعم والابتكارات التكنولوجية، التي تُستخدم بشكل متكرر في الحياة اليومية، لا تعني سوى وسيلة للوصول إلى الهدف. يتم استخدامها لأغراض الخدمة فقط. ليس لها تأثير على القيم الروحية. بالنسبة لنا، فإن الأساليب التي تتغذى عليها العين المجردة في البداية، لم تعد مفاجئة لنا بعد فترة معينة من الزمن.

كما أشرت ، تحتل الكنيسة مكاناً حاسماً في قلوبنا وعملنا اليومي لشعبنا السرياني الماروني. وقد تحول هذا إلى دعم وتضامن ملموسين من قبل الجمهور،

من ناحية أخرى، إنه لأمر مدهش وفاتن، يجلب الاسترخاء، الاستمتاع بالروحانيات في الكنائس والأديرة التي تجذب الانتباه مع هندستها الفنية البسيطة والرائعة. كل شيء هنا يكمل بعضه البعض في وئام وتوازن لا يتزعزع. لأنه تم الاهتمام بأدق التفاصيل،

عند قمم الجبال ، يبدو صوت الجرس المتصاعد من الكنائس / الأديرة التي تقبل أحياناً قبة السماء بتواضع وتحية أحياناً قبة السماء بالحب ، وتناشد عالم القلوب وتشعر فوراً بروح الحياة المشتركة القائمة على وحدة المجتمع وانضباطه.

يتم إرسال تحية الصباح تحت هيمنة الخضار التي يغطي الجبال. بقدر ما أشعر، يساهم هذا الوضع بشكل إيجابي في أنيقة ولطف السكان وحصول الأشخاص على البركات هؤلاء الذين يعيشون في تلك المنازل، والذين يقفون جنباً إلى جنب في قمم الجبال ووديانها، وأحياناً في أماكن منفصلة، مع صلوات وطقوس بأريحية يجعلهم يعيشون في وئام. إن دفء ومودة الموظفين رأيناها وتلمسانها أينما ذهبنا.

حولت الشمس المشرقة بنعومتها الحريرية انتباهنا وأفكارنا إلى فهم الخدمة في الأديرة المبنية على تلك التلال المشجرة في الأيام الأخيرة من الصيف. وألهمتنا التأمل العميق. من الصعب حقاً الإيمان بالقدرة الخلاقة لهذا الجو دون رؤية الجو الروحي المدفون هنا والشعور به. هذا مكان مهم يجب أن يراه السريان المحبون للثقافة والذين يهتمون بمستقبل قيمنا دون أي تمييز ويبدلون الجهود من أجل هذا الغرض. أنا أعتبرها مسؤولية يتم تحديدها في المستقبل. لأنه من غير الممكن رؤية الوعي الاجتماعي والثقافي في الكنيسة المارونية اللبنانية، التي تبدو حية من جميع النواحي، بطريقة بحث مختلفة عن ذلك.

هنا على الرغم من أن القول المأثور **"دجاج الجار يتراعى للجار كإوزة"** يتبادر إلى الذهن، جميع الجمال المتشابه والتطورات التي تضيء الأفكار النهائية والمعاني التي ارتكزت عليها أسس مدرستي نصيبين وأورفا والتي أشرف عليها مار إفرام السرياني في التاريخ تعيش كتجربة حقيقية للثقافة السريانية هنا.

كما هي منعطفات وتعرجات الحياة، كنت قد سمعت أن الطرق التي نهبناها بالسيارة دعنتنا دائماً إلى **"التباطؤ"**. ولكن يجب أن أعترف، بينما كنت أسير على طول تلك الطرق المتعرجة، شعرت وكأنني جزء حي من التاريخ. أدركت أنه أصبح لدي فهم أفضل للكلمات، **"نحن لا نعيش لكي نعمل، نحن نعمل لكي نعيش"**. أنا الآن أفهم بشكل أفضل ما تعنيه هذه الكلمة.

الإنسان الذي يبتعد عن القراءة والكتابة ويحاول التعرف على نفسه، يصبح غريباً على نفسه والآخرين. في حين أن الأمر يتطلب الكثير من الجهد والانضباط للتغلب على هذا، إلا أنه ينبغي البحث عن طرق لتأمل الجوهر (الروح) أولاً. وكما قال العزيز أنطونيوس (٢٥١-٣٥٦) - وهو أحد الداعمين الأساسيين للروح الرهبانية السريانية - إن النقطة الأساسية هي "معرفة أنفسنا"، في هذا السياق، "يجب أن تعرف نفسك أولاً لتعرف الله".

كما يقول الفيلسوف والمفكر إبيكتاتوس (٥٠-١٣٥ بعد الميلاد) لكي يكون الإنسان ذو مسؤولية ولا يصاب بمرض العصر، عليه أن يتبع المبدأ التالي "أعظم نعمة أعطانا إياها الله هي القدرة على اكتشاف ممتلكاتنا التي نملكها ولكننا لا ندركها". هذا يعتمد على العمل والنضال الفعال والمنضبط. في عالم اليوم حيث تنتشر الحياة الرتيبة والوحدة والفردية / الأنانية، سيكون من المناسب محاولة استعادة الفضائل والأخلاق التي تتركنا كبشر، والكشف عن عمقنا البشري ومعرفة أنفسنا. لا يتعلق الأمر فقط بالنجاح، والكفاءة، والحضور إلى المكتب، وكسب الكثير من المال. لا يتمثل التحدي الرئيسي في أن تكون ناجحاً ، بل أن تكتشف مواهبنا الفريدة الحقيقية ونعيدها إلى الحياة بأفضل طريقة ممكنة. والقضية هي التخلص من السبب الذاتي في المنزل، ومكان العمل، والكنيسة، والمجتمع، والسياسة، والإدارة، والاستمتاع بمزاج يكون في خدمة المنهج التكاملي الذي يغذي المبدأ **شومليو "العيش والتعايش"** مثل الكنيسة السريانية المارونية اللبنانية.

لذلك كنا سعداء للغاية باتصالاتنا مع الكنيسة المارونية اللبنانية. أصبحنا في غبطة. في جميع لقاءاتنا ومحادثاتنا المبهجة والهادفة، عبرنا عن ضرورة أن تكون لغتنا السريانية القديمة مملوكة للكنيسة المارونية. شعرنا أن هذا الفكر له صدى في الوعي الحالي. لدرجة أنه في اجتماعاتنا مع الشخصيات المهمة كانوا يقولون لنا "تستند جذورنا التاريخية على السريانية. السريانية تعني جذرنا التاريخي، المواردنا كانوا دائماً يوجهون رسالة وهي من فضلكم لا تهملوا وتفقدوا السريانية مثلنا". أمل أن تتحول هذه الحساسية واليقظة اللافتة إلى ثمار دائمة. إذا أصبحت هذه الإرادة والرغبة حقيقة، فإن اللغة السريانية القديمة سوف تحصل على الحيوية اللازمة، وإمكانات العصر ستكون أكثر تناسباً مع جهود الأديرة المارونية التي بنيت على قمم الجبل.

أعتقد أن أولئك الذين هم في طريقهم إلى لبنان، وخاصة أولئك الذين سيزورون الكنيسة السريانية - المارونية، سيلاحظون التراكم الروحي والثقافي الذي تحول إلى حضارة بحد ذاتها. لأن السبيل إلى فهم شخص أو مكان أو أرض أو منطقة هو مقابله والاقتراب منه. يمكن أن تكون الانطباعات من القراءات البعيدة مضللة في بعض الأحيان. من أجل الفهم، هناك حاجة إلى معاينة صادقة، محادثات صادقة. يجب علينا تطوير هذا للعثور على هذه الأبعاد والمعاني القوية للغاية لثقافتنا التي تبقينا على قيد الحياة ولا

تزال تسعى لإبقائنا على قيد الحياة. لقد كتبت هذه الانطباعات للتعبير عن أنني وجدت هذه المعاني. أثناء القيام بذلك، أشرك هذه الأفكار دون أن أنسى أن لكل شخص، في كل مكان، كل بلد قصته الخاصة – التي تتأرجح صعوداً وهبوطاً. تعلمت الكثير من تواصلتي مع الكنيسة السريانية المارونية في لبنان. استمتعت بكل لحظة ... ولكن رويداً ... رويداً.

لن أقول "أنا". كما تعودنا القول ، لكي يزداد بريق الجوهر؛ لأن اللحظة التي تقول فيها "أنا" هي اللحظة التي تنتهي فيها. لذلك، (التعلم المستمر) هو في الواقع تعليمنا لأنفسنا. هو جعل جوهرنا أكثر نماءً. هو أن نأخذ أنفسنا وفهمنا إلى المستوى التالي. لا ينبغي أن ننسى أنه نظرًا لأننا بشر، يجب أن نصل أولاً إلى الإنسانية. ومن ثم يجب أن نوجه هذه الإنسانية في الخدمة المناسبة.

وفقاً لإبراهيم ماسلو، الأب المخضرم لعلم النفس، الذي قال: "كل شخص معلم ونحن دائماً طلاب". "إن أحد أهداف التعليم يجب أن يكون تعليم قيمة الحياة".

الأدمغة العقلانية تخدم الإنسان لأنه "بشري". أود أن أذكركم بمقولة اجتماعية هنا. يقول مفكر اجتماعي: "إن الأحداث التي تجعل الناس بشراً هي تجارب وعواصف خطيرة لدرجة أنك إما تجد الباب في نهاية الطريق أو يتحول هذا الطريق إلى متاهة وتضيع في تلك المتاهة. في بعض الأحيان تجد تلك اليد التي تمتد لتساعدك ولكنك لا تقدر قيمة هذه اليد".

في تيار تدفق الحياة ذلك التواصل، تلك اليد، ذلك المفتاح موجود أيضاً... ولكن في دواخلنا. مهمتنا هي الدخول والعثور عليهم. عندما نجدهم يجب أن نعرف كيفية استخدامهم في خدمة تطور الوعي.

كما قيل ، "الخير الأبدي ليس دائماً ما يصب في مصلحتنا بل في مصلحة العدالة".

ملفونو يوسف بكتاش

١ في إطار توزيع الواجبات، خاصة في المجال الأدبي الثقافي والبيت الصحفي البصري السمعي، مؤسسات ومنظمات الكنيسة المارونية، تقدم الخدمات والمساعدات بغض النظر عن الدين أو اللغة أو العرق أو المرضى أو المتعبين أو الفقراء أو المحرومين أو المدمنين على المخدرات أو النساء- ويقدم المساعدة والخدمات للمشردين والمرضى العقليين الذين يعيشون في الشوارع دون أي تمييز. هناك ١٢٠٠ مريض عقلي فقدوا ملكاتهم العقلية في المستشفيات (الأديرة) التي يديرها رجال الدين. هؤلاء المرضى عقلياً ينتمون إلى المعتقدات المسيحية والمسلمة وغيرها. الراهبات يقمن بالخدمة والاعتناء

بهم ليلاً ونهاراً بتواضع وولاء كبير. في مستشفى آخر، يتم علاج مدمني المخدرات وإعادتهم إلى الحياة من قبل كهنة وراهبات ذوي خبرة في هذا المجال.

الكاتب السرياني مار إسحاق النينوي (٦١٣-٧٠٠) يقول "التواضع ثوب إلهي". يشعر الجميع بالتواضع على أنه يذكر بالكلمات: "السنابل المليئة تنحني برووسها أما الفارغة فهي شامخة". لأن الشخص المتواضع متماهي مع الحياة، والناس الآخرين، ومع الكون بأكمله ويلهم الآخرين بقدر ما يستطيع. تمتزج الروح المتواضعة مع اللطف والرحمة. خدمة الناس هي مسألة شرف بالنسبة له.

التواضع هو وضع الأنا في حدودها. هي أن تعرف الحدود. إنه احترام لك وللآخرين وللكنائس كلها. التواضع هو القوة هي انسجام شخصيتنا مع روحنا. التواضع هو شكل من أشكال الإدراك. لجم "الأنا" من أجل سماع "الأنت" كي يبقى الأنا في دائرة النور.

التواضع ليس تقليل قيمتنا الخاصة، بل تقدير الآخرين. التواضع هو أن نفتح قلوبنا لكل كائن بإزالة أنفسنا. أن يعرف نفسه على أنه معادل للآخرين وحتى المخلوقات دون شعور الخيلاء. إنه تحقيق الإنسان لذاته. النفس مطمئنة. إنه لسماع ذلك الهمس الإلهي الفريد الذي يحيط بالكون ويهمس بنفسه. كما يقول الحكيم ، "حينما ينقشع الظلام بالنور، التواضع يكشف الأضواء السماوية في الشخص".

هذه المقالة هي عربون شكر وامتنان لرئيس الدير أبونا فادي المسلّموشخصهالكريم، والمسؤولين والعاملين في المدرسة الرهبانية المارونية الأنطونية في لبنان والقائمين على خدمة مدرستها، وهي عربون ذكرى للعزیز مار إيشايا نجل والي حلب قديماً سومياس ، طالب العزیز مار إيفجين. عاش بين ٣٥١ و ٤٤٠. بدأ حياته الزهيدة في دير مار إيفجين الواقع على جبل باجوك (إيزلا) المتصل بماردين-نصيبين.